

المـازـون

عمالة مصطفى البرزاني وأكاذيب هنري كيسنجر



العراق



منشورات 2003 الطـليـعـة

الدكتور منذر الموصلي

المهاجر

عمالة مصطفى البرزاني وأكاذيب هنري كيسنجر



تونس - 2003

اللعبة الأميركيّة والحكاية المأساة بِكاملها «كيسنجر والبارزاني»

يسجل التاريخ بأن ملا مصطفى أشهر السلاح وتنكر لاتفاقية ١١ آذار بتحريض أمريكي ثم ألقى السلاح عندما خُذله الأمريكي وتخلى عنه حتى مات كمداً وأسىً وندماً نادراً نفسه بشجاعة تحسب له كما ذكرنا من سابق.

نحن هنا لا نقدم جديداً عندما نتحدث عن استجابة ملا مصطفى لاغراءات الامبراليّة الأميركيّة وتجاویه مع تحريض شاه إيران محمد رضا بهلوی للإنقضاض على اتفاقية ١١ آذار وتقديم مطالب تعجيزية لحكومة بغداد على سبيل التغطية قبل مباشرته رفع السلاح . ولو لا التحريض الأميركي لما كان للملا أن يلجأ إلى السلاح أبداً بل إلى مواصلة لغة الحوار من أجل تطوير التجربة وتعديل بعض البنود إن أمكن في الاتفاقية التاريخية من دون التنكر لها وخذلانها قبل أن تأخذ دورها المرسوم .

نحن نقول استطراداً بأن الملا كان بطبيعته ومنذ بداياته أميل إلى المغامرة وحمل السلاح . هكذا بدأ وهكذا استمر وهكذا أراد أن يختتم حياته ومرحلته ، ولم يكن الإصغاء للخارج من الأمور الجديدة عليه . لكنه هذه المرة تعاون مع الرئيس الأميركي مباشرة من دون الأجراء الصغار . كان هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي الالماني الأصل اليهودي الانتقام في مركز الاستقطاب ينشط ويلمع أسمه وتترسخ «مبادئه» مدرسته في التعاطي مع خريطة العالم النامي ، وقد عز عليه جداً وألمه حتى الوخذ اليومي ما أكلت إليه الأمور في منطقة الخليج . إن هدوء الأوضاع في كوردستان معناه أن إسرائيل لم تعد مرتاحة فكثر قرعها على الباب الأميركي ذلك لأن هدوء الأوضاع في العراق يعني تفرغ هذا البلد الضخم للأ مكانات للتنمية وتطوير الاقتصاد وتدعمه العسكري وتعزيز التأثير بين جماهيره ، وهذا شيء مرفوض في المخطط الأميركي . فما العمل؟ إنه ملا مصطفى البارزاني ولا أحد غيره على الاطلاق يمكن أن يخلط الأوراق بعض الشيء ويشوّش على بغداد . ولم يكن مطلوباً منه أكثر من هذا الدور ، فلا واشنطن في وارد العطف على الأكراد ولا إسرائيل ، فالكل ضد العراق وضد أكراده ولا يملك أحدهم إلا ورقة الملا على الساحة .

هذا يقود إلى القول بأن إخواننا الأكراد يريدون أن يقفوا جسماً حيّاً له حق الحياة الحرة الكريمة متمتعاً بِكامل حقوقه القومية متطلعاً إلى وحدة وطنه ... يريد الأكراد هذا كله

لكنهم لم يتوصلا بعد إلى إكتشاف أسباب جمود قضيتهم وانكفاقيا خطوتين إلى وراء كلما تقدمت خطوة إلى أمام . إن المبحث الذي نكتب ونؤرخ فيه الآن يشكل أحد أبرز عناوين بعض هذه الأسباب وأهمها . فالتاريخ الكردي يعج بقصص الاستقواء بالأجنبي وليس بالحليف الذي يعطف على قضية الأكراد وحقوقهم القومية . إن التعامل مع كيسنجر ومع أشباهه يأنف منه كل كردي مخلص واع لأنه يتناهى مع أخلاقه ووطنيته ونوازعه القومية والروحية لذلك سقط جميع المتعاملين مع الأجنبي والضالعين في التآمر معه ضد العراق ضدعروبة في العراق . وهو التآمر الذي ينعكس بالضرورة على الأكراد وقضية كوردستان . فهل ربع البارزاني أو حصل من كيسنجر أو غيره أكثر مما ربحه وحصل عليه من بغداد؟ . لو حصل على ما هو أفضل لعذرناه . ولعل قصة البارزاني مع كيسنجر والشاه أشد مرارة من كل المأسى والفواجع وصور التعاطي مع الأجنبي في تاريخ الأكراد .

وقفة مصارحة مع تاريخ البارزاني

كتب الصحفي والكاتب العربي المصري المعروف أحمد بهاء الدين تعليقاً هاماً على هذا الجانب المأساوي من حياة ملا مصطفى ودوره في التنكر لاتفاقية ١١ آذار وعدته لرفع السلاح بتحريض أمريكي - كيسنجر (*) . . . كتب يقول تعقيباً على وفاة ملا مصطفى : «في هذه الأيام بالذات ، إذ تتواتى التفجيرات في عدد من البلاد العربية في الشرق الأوسط ، وتقفز إلى السطح توترات وأزمات بين إيران كنا نظن أنهم سوف يتعايشون ، وأنظرها التوتر بين إيران والعراق ، وإذ نفاجأ بعودة «قاموس» كلما حسبنا أنه طوي ووضع على أحد رفوف التاريخ ، وجدنا يداً مجهولة تتد إلية ، وتنفض عن الغبار ، وتعيده إلى ذاكرة الجميع : مسلم سني ، مسلم شيعي ، الزيدية ، العلوية . . . فضلاً عن الحرب المستمرة في لبنان متسترة تحت عناوين «المارونية والمحمدية» وأيضاً إذ يتتصاعد الحديث عن حقوق الأقليات . . إلى آخره . . في هذه الأيام التي يتفجر فيها كل هذا ، أجده أن الحاجة ماسة للعودة إلى قصة قريبة دامية ، قصة الملا مصطفى البرزاني ، ليس لأنها أهم الحركات ، ولا لأنها فريدة في عالمنا الذي هو بأغلبته مسلم وعربي . ولكن لأنها قصة إكتملت صفحاتها ، ونشرت أسرارها ، وتمت مرحلتها بهجرة الملا البرزاني ، ثم بوفاته في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية (**) . .

(*) «لذلك نرى المسألة الكردية يراد منها أن تبقى متفجرة مادامت مصالح القوى الاستعمارية والقوى الرجعية في خطر» - صادق الحسيني - «السفير» اللبنانية ١٩٧٩/٩/٢٢ .

(**) توفي الملا في مستشفى جورج تاون في أميركا عام ١٩٧٩ .

ولن أسرد قصة البرزاني كاملة ، ولكن يكفي الوقوف عند مراحلتين في حياته ، لنرى منها العبرة التي نريد ، وهي أين نحن وأين الأيدي الخارجية؟ ..

لقد كان البرزاني ثائراً مستمراً في العراق في عهد نوري السعيد فلما تم قهره عسكرياً وكانت المنطقة كلها تحت القبضة الانكليزية المباشرة ، هاجر برجاله إلى الاتحاد السوفيatici .

وبعد أجيال ... كان عبد الكريم قاسم على رأس الحكم في بغداد . وأعلن قراراً مدوياً بالسماح للبرزاني بالعودة مع رجاله من الاتحاد السوفيatici إلى العراق . وهلل الشيوعيون - المغمضو العيون - بعودته .

وقالت الدعايات الغربية أنه حصل على رتبة جنرال في الاتحاد السوفيatici .

وكان عبد الكريم قاسم يعرف غير ذلك (*) ...

كان قد وجد أن المد القومي الوحدوي صار طاغياً في العراق . وكان يريد إضعاف هذا التيار بالتدريج . فدعا البرزاني للعودة ، حتى يفتت وحدة حركة الشعب العراقي كله . ونجح بنفس الوسائل مع فئات أخرى إلى قسم الشعب العراقي وإلى بدء سلسلة المذابح الداخلية ، حتى أبعد العراق عن الوحدة ، وشارك في الإجهاز على وحدة سوريا ومصر . وكان ما كان . واستمر الوضع المقسم المتاخر في المنطقة ، كما أراده الانكليز ...

ويومها اشتربكتنا مع الكتاب الشيوعيين التقليديين ... يقولون أن قاسم ديموقراطي وتقديمي وينادي بالمساواة بين القوميات ... ونقول لهم أنه ينفذ سياسة الانكليز في التفريق والتمزيق ليسود ... وإن الحديث عن الأقليات «حق يراد به باطل» ... ولم يصدقو حتى علق لهم قاسم المشانق في أنحاء العراق ! .

والمرحلة الثانية - الأهم في مجال حديثنا - هي بعد ثورات البرزاني الجديدة . ثم بعد الاتفاق التاريخي بينه وبين الرئيس صدام حسين حول الحكم الذاتي الكردي ، الذي

(*) نحن هنا نخالف الكاتب العربي أحمد بهاء الدين رغم صوابية تحليله للأحداث . ففيما يتعلق بعودة ملا مصطفى للعراق لم تكن عودته نتيجة مبادرة عبد الكريم قاسم . بل في ظل مناخ ثورة ١٤ تموز - يوليو - عام ١٩٥٨ وما انبثق عنها من معطيات وطنية وشعارات إنسانية أتاحت العودة لكل عراقي منفي إلى بلاده معززاً مكرماً ... وربما استغل قاسم الملا البرزاني فيما بعد أي استغل عودته لأرب أخرى كان يضمّرها . ولم يحصل الملا على رتبة الجنرال من السوفييت بل من حكومة مهاباد الكردية في إيران عام ١٩٤٦ .

أعطتهم فيه بغداد كل حقوقهم القومية . فلما جاءت ساعة تنفيذ الحكم الذاتي ، أعلن البرزاني الحرب من جديد . . .
يتبع بهاء الدين قائلاً :

وبعد هزيمة البرزاني وهجرته نهائياً ، نشرت جريدة «الصندai تايمز» الانكليزية النصوص الرسمية لبرقيات بين البرزاني وهنري كيسنجر ، وزير خارجية أميركا وقتها ، تدمى لها القلوب ! .

لقد ظهر أن البرزاني كان قد أصبح وثيق الصلة بأميركا ، وإنه تلقى المساعدات منها ومن إسرائيل . . .

وحين أقترب موعد تطبيق اتفاقية الحكم الذاتي ، وحل المشكلة ، كتب البرزاني إلى كيسنجر مامعنـاه أنـهم سـينفذـون اـتفـاقـيةـ الحـكمـ الذـاتـيـ ، لأنـهاـ أـفـضـلـ شـروـطـ حـصـلـواـ عـلـيـهاـ ولـكنـ إـذـاـ كـانـتـ أمـيرـكـاـ تـنـصـحـ بـمواـصـلـةـ القـتـالـ ، وـتـعـهـدـ بـمسـاعـدـتـهـ حـتـىـ تـحـقـيقـ الإـنـفـصالـ ، فـهـوـ مـسـتـعـدـ لـإـسـتـشـافـ القـتـالـ!

ورد كيسنجر : إـسـتـانـفـواـ القـتـالـ ، وـسـنـسـاعـدـكـمـ حـتـىـ النـهـاـيـةـ!
وـاستـؤـنـفـ القـتـالـ وـقـتـهاـ بـضـرـاوـةـ هـائـلـةـ . . . حـتـىـ جـاءـتـ لـحظـةـ التـقـىـ فـيـهاـ صـدـامـ حـسـينـ معـ شـاهـ إـيـرانـ فيـ الجـزـائـرـ ، وـاتـفـقاـ عـلـىـ حلـ مشـاـكـلـ العـرـاقـ وـإـيـرانـ ، وـفـيـ مـقـدـمـتهاـ إـغـلاقـ إـيـرانـ حدـودـهاـ معـ البرـزـانـيـ وإـيقـافـ تـسـربـ أيـ مـسـاعـدـاتـ إـلـيـهـاـ . . .

وانهارت مقاومة البرزاني الذي فوجئ بتغيير الموقف الإيراني . وأرسل سلسلة من برقيات الإستغاثة إلى كيسنجر :

- لقد طلبتكم مني إـسـتـشـافـ القـتـالـ وـالـآنـ تـخـلـيـتـمـ عـنـيـ فـجـأـةـ دونـ سـابـقـ إـنـذـارـ ماـذـاـ أـفـعـلـ؟
.. لا رد!

- إنـقـذـونـاـ بـأـيـ مـسـاعـدـةـ! قـوـاتـيـ تـنـهـارـ وـتـتـمـزـقـ!
.. لا رد!

- إـنـيـ قـاـبـلـ بـشـروـطـ الحـكـمـ الذـاتـيـ نـظـيرـ وـقـفـ القـتـالـ . فـقـطـ إـنـقـذـواـ مـاءـ وـجـهـيـ بـأـنـ تـجـعـلـواـ دـولـةـ عـرـبـيـةـ تـتوـسـطـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ حـكـومـةـ بـغـدـادـ ، وـسـأـقـبـلـ شـروـطـهـاـ فـورـاـ!!
.. لا رد!

- أنقذوا جنودي وشعبي . سأترك العراق ولكنني أريد إيقاف إراقة الدماء . تدخلوا بأي
جهود إنسانية !

.. لا رد من كيسنجر !!

وأثار نشر النصوص ضجة . وأجريت في أميركا تحقيقات حول تسريبها . ولكن أحداً لم يذكر الحقيقة : إن كيسنجر وزير خارجية أميركا حرض البارزاني على القتال ، ووعده بشتي الوعود ، فلما إستغنى عنه تركه يلقى مصيره^(١٣) . ثم تكررت المأساة مع أصحاب الإنفاضة المزعوفة عام ١٩٩١ ولم يستفد مسعود البارزاني من تجربة والده شيئاً ، وهو أعرف وأدرى بحقيقة ما تكتبه هنا ولا يستطيع تكذيبه بل هو نفسه متالم ويتهم أميركا بأنها باعت الأكراد .

عالم .. من غير كيسنجر ..

وتحت عنوان «عالم بغير كيسنجر» كتب محمد حسين هيكل الكاتب والمُؤلف المرموق . وهو من تعرف إطلاعاً على أسرار وخفايا العلاقات الدولية حتى أصبح مرجعاً يعود إلى كتاباته كل من يريد تغطية أحداث المنطقة بمراجع موثقة موثقة . كتب في جريدة «الأنوار» اللبنانية تحت عنوان : «عالم من غير كيسنجر» معقباً ودارساً للتدخل الكيسنجرى في المسألة الكردية واستئثار ملا مصطفى لعاودة القتال بعد توقيعه شخصياً على إتفاقية ١١ آذار والإنكفاء عليها» .

يقول هيكل : «وأصل أخيراً إلى قصة لفتت نظري ، فقد كانت معبرة إلى أقصى حد عن أسلوب كيسنجر في التعامل مع العرب ، ومن سوء الحظ أن أحداً في العالم العربي لم يدرس هذه القصة بشكل كاف ، ولا أعطاها ما تستحقه من عناية بإعتبارها نموذجاً يمثل أسلوب كيسنجر في إدارة وحل أزمات الصراع في العالم العربي .

والقصة التي أعندها هي قصة هنري كيسنجر مع الأكراد في العراق (*) .

إن مستندات هذه القصة ووثائقها السرية - بما في ذلك ما صدر عن وزارة الخارجية أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - موجودة كلها وبالكامل في ملفات وتقارير اللجنة

(١٣) أحمد بهاء الدين في حديث مجلة «المستقبل» الباريزية المتعجبة العدد ١٢٤ تاريخ ٧ تموز ١٩٧٩ .

(*) يعبد هذا الكتاب نشر القضية بكاملها كما حققها ونشرها الاستاذ محمد حسين هيكل ونضعها بين أيدي الرأي العام الكردي ... وبتصرف مسعود البارزاني عسى يتخد الموقف الصعب والصحيح تكفيراً عن الماضي وخدمة للشعب الكردي إذا كان حريصاً على خدمة هذا الشعب المذل المهان على أيدي بعض أبنائه .

الخاصة التي شكلها الكونجرس الأمريكي برئاسة (أوتيس بايك) عضو الكونجرس الأمريكي عن ولاية نيويورك للتحقيق في النشاط السري لأجهزة المخابرات الأمريكية».

يتبع هيكل :

«وكانت هذه اللجنة الخاصة قد قدمت تقريرها إلى الكونجرس بتاريخ 19 يناير / كانون الثاني / 1976 ، ولكن الرئيس فورد بعث برسالة إلى الكونجرس يعترض على نشر تقرير اللجنة ، لأن نشره سوف يكون مدمرًا لمصالح عليا تعرض عليها حكومة الولايات المتحدة ، وكانت رسالة فورد إلى الكونجرس بتوصية من هنري كيسنجر عزتها المؤسسة الأمريكية كلها . وبالفعل فإن الكونجرس في جلسة عقدها بتاريخ 29 يناير / كانون الثاني / 1976 وافق على حجب نشر تقرير لجنة «بايك» بعد موافقة السلطة التنفيذية على النشر نظرًا لحساسية المعلومات الواردة فيه ، ولأنها تكشف تفاصيل كثيرة عن خبایا النشاط السري الأمريكي في مناطق توجد فيها مصالح أمريكية حساسة ودقيقة .

وبرغم هذه الاحتياطات كلها فإن تقرير لجنة «بايك» نشر بالكامل في أحدى صحف الرفض التي تصدر في قرية جرنيتش قرب نيويورك واسمها «صوت القرية» .

ولكن أجهزة الأمن الأمريكية حاولت جمع كل أعداد هذه «المجلة» ، كما أن الصحفي الذي سرب نسخة التقرير إليها قدم للمحاكمة .

إن الجزء الخاص بقصة كيسنجر مع الأكراد في العراق موجودة في تقرير لجنة «بايك» في القسم (ج) ، عنوانه «ثلاث مشروعات» ، وهذا الجزء الخاص بالأكراد يرد في فصل مستقل من هذا القسم بعنوان «الحالة رقم ٢ : مساعدة بالسلاح» .

«يبدأ هذا الجزء برسالة من قائد محطة المخابرات المركزية في إيران إلى مدير الوكالة في واشنطن ، تفيد بأن الملا مصطفى البرزاني اتصل طالبًا المعونة الأمريكية في حربه ضد حكومة العراق ، وإن هذه الحرب تساعد الولايات المتحدة لأن حكومة العراق تتعاون مع الاتحاد السوفيتي . (كانت هذه الرسالة في أغسطس / آب ١٩٧١) (*) .

- عاد الملا مصطفى البرزاني فجدد إتصاله بقائد محطة المخابرات المركزية في إيران ملحاً في إجابة مطالبه بالمساعدة ، وعاد قائد المحطة فكتب إلى رئاسته في واشنطن مؤيداً ومبرزاً

(*) أي بعد توقيع الملا اتفاقية الحكم الذاتي .

أهمية مساعدة الملا مصطفى . (كانت هذه الرسالة الثانية في مارس/ آذار ١٩٧٢) وقد حولت رسالة أغسطس/ آب ١٩٧١ ورسالة مارس/ آذار ١٩٧٢ إلى «لجنة الأربعين» التي تشرف على كل النشاط السري لأجهزة الأمن الأمريكية ، والتي يرأسها الدكتور هنري كيسنجر بوصفه مستشاراً للرئيس للأمن القومي ورئيساً لمجلس الأمن القومي ذاته . وقامت اللجنة ببحث الرسائلتين ، ولكنها لم تقرر شيئاً ، أو على الأقل لم تسجل ملفات اللجنة أنها توصلت إلى قرار .

- في شهر مايو/ أيار ١٩٧٢ كان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون يزور طهران ومعه الدكتور هنري كيسنجر ، وفتح شاه إيران بنفسه مع الرئيس الأمريكي موضوع المساعدة للأكراد وقال أنه : «وعد الملا مصطفى بأن الولايات المتحدة سوف تساعدته» ، وقال أنه قدم هذا الوعد (كصديق) ، وأنه من الضروري للولايات المتحدة أن تعزز وعده عملياً ، ثم قدم الشاه في الاجتماع للرئيس الأمريكي قائمة بالأسلحة التي يحتاجها الملا مصطفى ، وواعده الرئيس نيكسون ببحث القائمة (بروح إيجابية) فور عودته إلى واشنطن .

- في أول شهر يونيو/ حزيران ١٩٧٢ أصدرت الحكومة العراقية قرارها المشهور بتأمين بترول العراق .

- في ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٧٢ ، وفي اجتماع خاص بين نيكسون وكيسنجر ، تقرر الموافقة بسلطة الرئيس على مساعدة الأكراد ، وتقرر اعتماد ستة عشر مليون دولار لتغطية نفقات الشحنة الأولى من الأسلحة الأمريكية للأكراد ، وتقرر إرسال مبعوث خاص هو المستر جون كونالي - الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخزانة مع نيكسون - وكان في ذلك الوقت محامياً لعدد من شركات البترول - إلى طهران لكي يتولى بنفسه إبلاغ شاه إيران بقرار الموافقة على مساعدة الأكراد وبقرار فتح الاعتماد لتغطية نفقات الشحنة الأولى .

- لم تعثر لجنة (بايك) على ما يفيد بأن هذا القرار عرض على (لجنة الأربعين) وبالتالي فإن حشيشات القرار لم تكن مسجلة بالكامل على ورق ، ولكن تقرير (لجنة بايك) يقول بالحرف في العمود الأول من صفحة ٨٥ ما يلي :

«إن الأدلة التي تجمعت لدى اللجنة تؤدي إلى القرار أتخاذ بالدرجة الأولى كمجاملة لخليفنا في إيران الذي كان يتعاون معنا بإخلاص ، والذي كان يعتقد أن الخطر يتهدده من جاره في العراق . ولقد كان العداء بين الاثنين تقليدياً ، ولم يكن اختلافهما أساساً في الاتجاهات العقائدية ولكن أيضاً في العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية» .

- وتساءل (لجنة بایك) عن هدف الولايات المتحدة ومطلبها ، وهنا تبرز نقطة مذلة حين يقول التقرير :

إن هدف الولايات المتحدة بمساعدة الأكراد لم يكن تكينهم من إحراز إنتصار يمكن لهم بعده أن يحصلوا ولو على حق الاستقلال الذاتي .

إن حصول الأكراد في العراق على هذا الحق يمكن أن يؤثر على أكراد إيران ، وهذا يسبب مشاكل للشاه .

وبالتالي فلقد كان المطلوب هو ضبط حد المساعدة للملا مصطفى بحيث يظل دائماً على مستوى معين . مستوى يستطيع عنده إستنزاف قوة الجيش العراقي وإنهاك أسلحته وقياداته وأفراده ، وفي نفس الوقت مستوى لا يستطيع معه إحراز إنتصار مؤثر يحقق الاستقلال ويؤثر على أكراد إيران .

- وتشير لجنة (بایك) إلى أن قائد محطة المخابرات المركزية في طهران علم في أكتوبر / تشرين أول ١٩٧٣ بأن إسرائيل التي كانت على اتصال بالملا مصطفى راحت تلح عليه في إنتهاز فرصة تحرك الجيش العراقي إلى سوريا للمشاركة في حرب أكتوبر ، لكي يقوم هو وأي الملا مصطفى بهجوم عام في شمال العراق !.

وجرى بحث تقرير قائد محطة طهران في لجنة الأربعين برئاسة كيسنجر «إن الملا مصطفى قد نجح في هذه الظروف بأكثر ما هو مناسب لصالحنا» - وبالتالي فقد بعث كيسنجر إلى الملا مصطفى بر رسالة ينصحه فيها (بعدم استغلال الفرصة) ولكنه لم يقل له السبب الحقيقي وراء هذه النصيحة واكتفى بأن يقول له «أنتي أخشى أن يؤدي ذلك إلى تعقيد مشكلتكم» !!(*).

- في شهر فبراير / شباط ١٩٧٤ بحثت لجنة الأربعين طلبات جديدة لمساعدة الأكراد وتقرر مبدئياً اعتماد خمسة وعشرين مليون دولار جديدة لشراء أسلحة من بلد شيوعي عن طريق طرف ثالث لكي ترسل إلى الأكراد .

وكان بين مبررات اللجنة التي رأسها كيسنجر : «إن مساعدة الأكراد في هذه الظروف على تكثيف نشاطهم ضد العراق مفید لأن الحكومة العراقية تشدد معارضتها ضد اتفاقيات

(*) قدم كيسنجر نصيحة للملا بأن يوقف القتال مع العراق حتى لا يستثير العرب بشكل يعكس عليه مستقبلاً واستمع الملا لنصيحة كيسنجر وأوقف القتال مع جيش العراق خلال مشاركة هذا الجيش سورية في الجولان خلال حرب تشرين الأول / أكتوبر / ١٩٧٣ .

فك الاشتباك التي يعمال لها الدكتور هنري كيسنجر لحل النزاع في الشرق الأوسط بسياسة الخطوة خطوة ، وتكثيف نشاط الأكراد ضد الحكومة العراقية من شأنه أن يشغل هذه الحكومة بمشاكلها عن معارضته سياسة الولايات المتحدة»!! .

- في مارس / آذار ١٩٧٥ توصلت إيران والعراق إلى اتفاق كان من شأنه أن توقف إيران كل مساعداتها للأكراد وأن تمنع أية أمدادات عن طريق أراضيها ، وأن تغلق حدودها في وجه التحركات الكردية بعد مهلة معينة .

ويصرخ تقرير لجنة «بایك» عند هذا الحد ويقول : «القد كانت سياستنا غير أخلاقية إزاء الأكراد ، فلا نحن ساعدناهم ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالفاوضات مع الحكومة العراقية . . . لقد حرضناهم ثم تخلينا عنهم» .

هذا ما تقول به وثائق الكونغرس الأمريكي ، وهو مخيف بالنسبة لنا :

- دخل كيسنجر لمساعدة الأكراد مجاملة لإيران .

- بعد تأميم العراق لبتروها أصبح هدفه من مساعدة الأكراد إستنزاف العراق .

- مساعدته للأكراد مضبوطة عند حد معين لا يمكنهم من تحقيق أي إنتصار «لأن ذلك ضار بمصالح إيران ، ولا يمكن الجيش العراقي من سحق تردهم» ، أي أن الهدف أستمرار الحرب وأستمرار نزيف الدم والموارد .

- طلب كيسنجر إلى الأكراد تكثيف نشاطهم ليشغل العراق عن معارضته اتفاقيات فك الارتباط .

تخلى كيسنجر عن الأكراد لكي يترك العراق - في رأيه يتفرغ لسوريا ، لأن سوريا رفضت المرحلة الثانية من فك الاشتباك!! . ولم تنته القصة عند ذلك الحد في الحقيقة ، وإنما كانت لها ذيول لم يلحق بها تقرير لجنة (بایك) .

كانت المخابرات الأمريكية قد إشتترت أسلحة شيوعية بخمسة وعشرين مليون دولار ، وكان من المقرر إرسالها لمحارب بها الأكراد ضد حكومة العراق . لكن الحرب الكردية إنتهت والأسلحة الشيوعية مازالت تحت تصرف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية»^(١٤) انتهت تحقيقات هيكل .

ونحن نسأل كل كردي بعد هذا هل أن أمريكا تعطف على الأكراد أم تستغلهم كما

(١٤) محمد حسين هيكل من حيث نشرته جريدة «الأنوار» اللبنانية العدد ٥٨٢٩ تاريخ ١٩٧٧/٢/١١ تحت عنوان «عالم بغير كيسنجر» .

استغلتهم إنكلترا من قبل وكما استغلت إيران بعض الأكراد أيام الشاه وما بعد الشاه للعداء للأمة العربية وحملهم السلاح ضد العراق في حرب الخليج؟ .. وهل سمع كردي واحد أن العراق زج بالمسألة الكردية وبالشبان الأكراد للتشويش في تركيا وإيران؟ .. أبداً فهذا ليس من أخلاق العرب وليس من حسن السياسة . ولا يعني هنا ما يتعلّق بالتعاطف مع أكراد تركيا وإيران ودعم مواقفهم ومواقعهم النضالية للحصول على حقوقهم القومية لاسيما حزب العمال الكردي التركي [P. K. K] بقيادة المناضل البطل الكردي عبد الله أوجلان .

هذه الصفحة الدامية كانت آخر صفحة يخط سطورها ملامصطفى الذي مضى وانقضى ولم نعد نملك إلا التمني على أنجاليه وورثته أن يتعظوا من مسيرة الوالد الفاجعة التي لم تكن تخلو من البطولة والشجاعة والبذل في سبيل كورستان حرفة واحدة موحدة . . . أخطأ الملا في بعض الحسابات فتورط هذا شأن آخر أصبح ملك التاريخ من حيث التقييم .

مع مسعود البارزاني

إذا كان هذا ما حصدته ملا مصطفى القائد الكردي التاريخي الراحل فما الذي حصدته نجله مسعود من بعده؟ .. هل التعامل مع أمريكا التي خانت والده وغدرت به كان أفضل من موافقة الحوار مع بغداد(*)؟ .. لقد دخلت واشنطن على خط الحوار واستجرت «أبو مسروor» ورفاقه إلى مستنقع «الإنتفاضة» المزعومة والقضاء على جميع المكاسب التي حققتها تجربة الحكم الذاتي السياسية والاقتصادية الثقافية والعمارية على مدى قرابة عشرين عاماً من دون أن تقدم بديلاً أفضل ، بل قدمت المزيد من الخراب والفواجع على مستوى الأرض والانسان ..وها هي الحقائق مكشوفة عارية تشير بأسى إلى المسؤولين المباشرين وغير المباشرين على مدى قرابة عشرين عاماً من خداع الذات ، فلا خلاص إلا بالعودة للدولة الشرعية بهذا الشكل أو ذاك أو أن كورستان وشعبها نحو مزيد من السقوط والانهيار .

(*) «إن حنيبي إلى بغداد عال جداً ، ولحد الآن المدينة المفضلة عندي في العالم هي بغداد ، وإذا كان لي الخيار لأعيش في مدينة ، فاختار بغداد . . . تعرّفت في بغداد ، درست في بغداد ، عشت في بغداد ، ولذلك علاقتي مع بغداد هي علاقة حاصة» .

مسعود البارزاني

في حديث صحافي - «السفير» اللبنانية ١٩٩٤/٨/٢

تاريخ الملا .. بأقلام الاميركان

ستسجل هنا ما اورده الآخرون عن ملا مصطفى على قاعدة «وناقل الكفر ليس بكافر» لأننا كعرب أو أتنبي كمؤلف صديق للشعب الكردي لا أسمح لنفسي أن أخط حرفاً واحداً أقصد فيه الإساءة إلى الملا . وهذا ليس شأنني أو أنه أمر لا يعنيني ، ومع ذلك أحسب أن ما أنقله هنا فيهفائدة للشعب الكردي ليطلع على الحقائق بعيداً عن الزيف والدعایات الكاذبة التي تريد أن تحمّل العراق المسؤولية عما ألت إليه أمور كوردستان من انحدار ، بينما المسؤولية تقع على عاتق ملا مصطفى بالذات عندما أغراه «كيسنجر» (*) بالتخلي عن اتفاقية آذار للحكم الذاتي على نحو ما يوضحه هذا الكتاب ، ثم ما كان من استجابة أصحاب «الاتفاقية» المزعومة بعد عشرين عاماً للإغراءات الاميركية نفسها وما كان من حملهم السلاح ضد الدولة العراقية العربية - الكردية ، واعلانهم الانفصال أو شبه الانفصال على شكل إقامة حكومة وبرلمان عام ١٩٩٣ أصبحا فيما بعد - أي بعد سنة وبعض السنة فقط - اضحوكة العالم ، ولكن معظم أطراف الاتفاقية إن لم يكن كلهم هم أصحاب ماضٍ موغلٍ بالتعامل مع الاميركي وحتى الاسرائيلي .

ولقد صدرت كتب ونشرت كتابات بأقلام كتاب اجانب فضحت المخفي . واقرب كتاب بين ايدينا هو كتاب «جوناثان راندل» الاميركي تحت عنوان «أمة في شقاق - دروب كوردستان كما سلكتها» وجعله موثقاً بالواقع والأرقام والاستشهادات وقد امضى سنوات مع الأكراد في كوردستان ، وكانت له لقاءات مع الملا ومع معظم أشياعه وغيرهم .

نقل راندل في كتابه على سبيل المثال ما قاله له عصمت شريف الداعية الكردي المعروف وكان من اقرب المقربين للملا في الخمسينات والستينات ... يقول عصمت : «يؤكد منتقدو البرازاني أنه غادر كوردستان وفي حوزته ٧٠ مليون دولار» - ص ٤١ من الترجمة العربية - وجاء في الكتاب أنه في ٢٩ أيلول ١٩٨٠ اعترف رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن بأن اسرائيل قدمت أموالاً واسلحة للأكراد وقادت بتدريب مقاتليهم ، وكان هذا التصريح أول اعتراف يدللي به مسؤول اسرائيلي . الأمر الذي أغضب «الموساد» أي جهاز المخابرات .

(*) المقصود هو «هنري كيسنجر» وزير خارجية أميركا على عهد الرئيس «نيكسون» في السبعينيات

وقد كشفت الصحف الاسرائيلية الصادرة في ٣٠ أيلول ١٩٨٠ أن الجنرال البارزاني قام خلال السنتين ومطلع السبعينات بزيارات عدّة إلى إسرائيل» - ص ٤٢ من الكتاب المذكور في ترجمته العربية ..

واستذكر هنا بأن جلال الطالباني فضح هذه الأمور في تصريحات صحافية من سابق .. أي فضح علاقات الملا وأعوانه مع إسرائيل ولم يصدقه كثيرون آنذاك مستبعدين أن يتصل الشيخ المسلم وريث الطريقة النقشبندية أو يضع يده بيد اليهود ضد أخوانه وأهله العرب .

• • • • •

طبعاً لسنا نحن من نكتب أو نتحدث هنا بل «الاميركان» أو الانكليز أصدقاء ملا مصطفى وأصدقاء خلفائه ... هؤلاء الأكراد الذين أثروا أن يكونوا قريبين من الأميركي البعيد البعيد ... بعيدين عن العربي القريب القريب ... وكيف قبلوا اجراء المصالحة فيما بينهم برعاية أميركا وفي واشنطن وكان ذلك في أيلول ١٩٩٨ وهي مصالحة ثمت تحت ضغط أميركا ولن تشر شيئاً لأن ما بني على فاسد هو فاسد ، وأقصد هنا كل البناء الهش الذي أقامه زعماء الانتفاضة المزعومة على أرض كوردستان .

إن الأجانب هم الذين تحدثوا وتنقل عنهم ما كتبوه واداعوه حول الملا من فضائح وتحالفات سياسية وتعاون مع إسرائيل في أسوأ المراحل التاريخية التي مرت بها أمتنا العربية وشعوب المنطقة .

لقد فضل الملا أن يضع يده في يد البريطاني منذ بداياته ، وأصحابه منهم النفي والعداب بين ١٩٤٦ - ١٩٥٨ على أيديهم آنذاك ولم يعد من غربته إلى الوطن على يد البريطاني فيما بعد بل على يد العربي وحده بعد هروبه وغربته منذ عام ١٩٤٦ على يد حلف بغداد وأصحاب الحلف من بريطان وترك وحلفائهم نوري السعيد وعبد الله وفاضل الجمالى صالح جبر ومن لف لفهم .

ولم يعد إلى العراق وكوردستان إلا بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التحريرية وما أصابه من عقوها وسمحها وهي الثورة التي قضت على الحلف وأهله^(*) . وبدلأ من أن يضع يده في يد

(*) غادر ملا مصطفى العراق مع رهط من أعوانه لدعم حركة مهاباد في كوردستان إيران عام ١٩٤٦ ولم يتمكن من العودة للبلاد في مرحلة حلف بغداد ليبقى حكم نوري السعيد ومرحلته تعيش في وضع أمريكي مستقر بدعم بريطانيا وأطراف الحلف . وبلغ الملا إلى الاتحاد السوفييتي حتى عام ١٩٥٨ وقيام ثورة ١٤ تموز في العراق ذلك العام .. وعلى نحو ما هو مفصل في هذا الكتاب .

الثورة واهلها العرب فقد انقلب عليها وعليهم جمیعاً ورفع السلاح ، متحالفاً مع كل عدو للأمة العربية من حوله . . . لماذا؟ والسؤال : ترى هل ساعده هؤلاء الاعداء وعوضوه عما ادعاه من ظلم اصحابه على يد العربي العراقي؟

لم يشأ الملا أن يضع سلطته وحجمه واهله وشعبه الكردي في خدمة الوطن العراقي العربي - الكردي للنهوض به وبكورستان وتعزيز ازدهار وطنه ودعم قوته ، وإقامة اطيب العلاقات مع الأمة العربية مواصلاً خطوطه الملفتة عندما زار القاهرة والتقي الرئيس العربي الراحل جمال عبد الناصر ، بل بدأ يعد العدة للعودة إلى مانشأ وشعب عليه من حمل السلاح هناك في شباب الجبال ضد بغداد لإشغال الوطن العراقي الناشيء وجيشه الفتى في معارك جانبية وبحريضن ودعم خارجي . وليت هذا الدعم كان من أجل حصول الشعب الكردي على حقوقه إذن لعذرناه ، لكن الدعم كان لإيذاء العراق وجيشه العراق وأمة العرب والاسلام .

الاتصالات مع الانكليز

وسنوضح هنا أنه منذ بداياته أقام الملا أفضل العلاقات مع المحتل البريطاني بينما أقام أسوأها مع جيرانه واهله العرب . . . لماذا؟ . وهذا هي مسيرة ومسجلة تلك العلاقات من أيام ذلك الزمان . . أي منذ اعوام الثلاثينات والاربعينات وكيف كان الملا يتهاون على الانكليز .

أرسل الملا الرسالة التالية في نهاية عام ١٩٤٣ إلى مستشار وزارة الداخلية في العراق الميجاندموندس^(١) .

بعد التحية وتقدير احتراماتي اللائقة لفخامتكم.

المعروف لفخامتكم أن كتابكم المرسول بتاريخ ١٩٤٢/١١/٢ وصلنا وخليناه فوق رأسنا، وما نرجوه إلا لطفكم وما نريد إلا رضائكم، ولكن الامر الذي وصلنا هو موت في ذل عظيم. نسترحم ثم نسترحم من فخامتكم الكرام بقبول عذرنا . . . إلخ.

المخلص الصادق للخدمة

برزانی ملا مصطفی

(١) عن كتاب (الأفاق - عزيز الحاج - ص ١١٥).

فخامة مأب سفير الجلالة البريطانية العظمى

السيد كناهان كرنواليس المخترم

بعد التحية واحترامات اللائقة مقامكم العالى

لابد موجود في ذهنكم الوفاد وطبعكم النقاد في يوم الذي حضرت في خدمتكم شخصياً وبا مشاهدة سكرتير مستر كابitan هولد، وجدت مسترحاً من جلالة
البريطانيا العظمى وعدالتكم المشهورة... إلخ^(٢).

١٩٤٤/٢/٩

المخلص برباني

برزان ١٩٤٤/٩/١٦

صاحب الفخامة سفير امبراطور بريطانيا العظمى لدى الحكومة العراقية

السيد كيننفهام كرنواليس

نعرض مقامكم السامي

أمرتنا بلزوم اتخاذ الهدوء والسكينة، فعملاً بهذا الشأن اجرينا امركم لحد
الآن واليوم وقد اضطربنا الالتجاء لدى عدالتكم مبيناً في كتابي هذا عسر حالنا
إن وقت الكسابة والفلاحة قد فات. ونحن بأشد الحاجة إلى معاونة الحكومة لنا
بأي صورة كانت لهذا نسترحم من سيمتمكم الكريمة قبول رجائنا في أقرب وقت
ممكن لكي لا يفوّت منا وقت الفلاحة والكسابة فنرجوكم بإعطاء الامر
مساعدتنا... إلخ^(٣).

المخلص

.....

هذه نماذج من رسائل قديمة وجهها الملا منذ بداياته للجهات المحتلة وكان سهلاً عليه أن
يضع يده بيد الحكومة في بغداد واعوانها في الشمال وهي حكومته ودولته، لكنه فضل أن

(٢) المصدر السابق «عزيز الحاج».

(٣) المصدر نفسه «عزيز الحاج».

يتوسط الانكليز وحدهم . ثم تنكروا له كالعادة لاسيما وأن حكومة بغداد كانت حليفة لبريطانيا أذاك وترتبطها معها معايدة ثنائية .

لم ينطلق الملا منذ بداياته على شكل ثورة حقيقة ، بل قاد عمليات عصيّان مسلح قوامها بعض أهله وجيرانه وليس الشعب الكردي ... وكانت تدفعه إليها الجهات البريطانية كعامل ضغط كلما لمست من حكومة بغداد تحركاً وطنياً . ولكن بعد أن امسك نوري السعيد بالدفة تماماً ويدعم الوصي الأمير عبد الله وأصبح العراق عضواً في حلف بغداد إلى جانب بريطانيا وسائر الحلفاء تبللت الأمور تماماً ووقف الانكليز كلياً ضد الملا ثم جعلوه خارج البلاد ، ولم تعد تطلق رصاصة واحدة في جبال كوردستان إلى أن عاد الملا إلى العراق عام ١٩٥٨ بقرار من حكومة الثورة كما أسلفنا ، وبعد شهور فقط بدأ يعد نفسه لرفع السلاح ويتحرىض خارجي على ما نحسب لأن تلك الثورة سحببت العراق من حلف بغداد ، والفت المعاهدة مع بريطانيا ورفعت شعارات قومية تقدمية معادية للحلف واهله ، فكان لا بد من التآمر عليها على يد الملا كما كان يحدث من استعانة بريطانية به للتشويش والضغط على بغداد في الثلاثينيات والأربعينات .

عودة إلى جوناثان راندال

ونعود هنا ثانية للمؤلف الأميركي «جوناثان راندال» الذي تعرّت الأمور كلها على يده وهو الذي ظاهر بصدقية الأكراد وفتحوا له بيوتهم وجعلوه يدرس الحقائق على الأرض مباشرة ، ولم يعد بإمكان أحد تكذيبه أو اتهامه بالتجني ... إنه أميركي يفضح الأسرار وتفتح أمامه الأبواب المغلقة من دون أن يوفر أحداً من الأكراد أو الأميركيان أو اليهود أو العرب والفرس والترك . تحدث عن الجميع بالشكل الذي بدأ فيه كتابه موثقاً وعادلاً أحياناً ، واوضح كيف أن جميع الجهات المعادية للعرب استخدمت الأكراد بل ملا مصطفى تحديداً في الكيد لهم والتآمر على قضاياهم ، واسغالهم وانهاكهم في مسائل جانبية توظف في خدمة إسرائيل .

كتب جوناثان يقول تحت عنوان «جمعية كيسنجر الخيرية» في صفحة ١٩٩ من الترجمة العربية لكتابه المذكور(*) :

(*) كتاب جوناثان أمة في شقاق - دروب كوردستان كما سلكتها (٤٥٠) صفحة - صدرت ترجمته العربية عن دار النهار في بيروت عام ١٩٩٧ ترجمة فادي حمود صدر الكتاب بالإنكليزية .

». . . كان أكراد العراق ، اداة يمكن استخدامها لتحقيق هدف الشاه بإضعاف خصمه الرئيسي - أي العراق - والاستغناء عنها عند الضرورة .

وكان الشاه يريد من الاكراد أن يستأنفوا القتال لإضعاف بغداد ، وهذا ما تحقق في شهر آذار من العام ١٩٧٤ ، بفضل نيكسون وكيسنجر إلى حد بعيد» .

«تقاطعت رغبة الشاه هذه ، مع رغبة ماثلة لدى الاسرائيليين الذين يسعون دوماً إلى إبعاد العراق عن النزاع العربي - الاسرائيلي . . . لكن الشاه كان يدرك أن البارزاني لا يثق به ، سيمما وأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن بعيد . وكان الشاه يدرك مدى ثقة البارزاني العميم بالولايات المتحدة ، ويأمل في ضممان تأييد واشنطن لفكرة إعادة إشعال التمرد الكردي . وقد أوقع البارزاني نفسه في الفخ ، من خلال إلحاحه الدائم على العاهل الإيراني والاسرائيلي لفتح قناة اتصال مباشر ما بين الأكراد والولايات المتحدة ، وهو أمر سعى الشاه دوماً إلى تحقيقه على الرغم من الرفض الأميركي الدائم الذي لقيه» .

«بعد بضع سنوات ، قال كيسنجر: كانت استراتيجية واضحة ، وتقضى بإضعاف أي بلد مرتبط بالاتحاد السوفييتي ، لذلك ، وبما أن السوفيات أقاموا علاقات عسكرية مع العراق ، بتنا مستعدين لتقبل فكرة مساعدة الأكراد» .

ثم يشرح جوناثان كيف ارتبط الملا مع أميركا والشاه عندما أهتم بغداد «شركة نفط العراق» التي تملكها شركات نفط بريطانية وهولندية وأميركية وفرنسية ، وتقرر أن يجعلوا الملا ينقلب على اتفاقية الحكم الذاتي (*) .

ويكشف «جوناثان» ماتضمنه التقرير السري الذي اعدته «لجنة بايك» حول العمليات السرية الأمريكية في العالم ، وهو التقرير الذي تم تسريبه في العام ١٩٧٦ ، وكيف أن الشاه بالتواطؤ مع أميركا حث البارزاني على استئناف القتال ضد العراق بعد اعلان اتفاقية الحكم الذاتي . وخلص التقرير إلى أن الأكراد لم يكونوا سوى ورقة بالنسبة إلى طهران وواشنطن ، واداة فريدة ومفيدة لإضعاف قدرة العراق على القيام بعمليات سياسية دولية» .

ودعونا نتساءل الآن كيف كان أكراد الاتفاقية فيما بعد أي عام ١٩٩١ مجرد «ورقة جديدة وأداة مفيدة وفريدة» لإضعاف قدرة العراق . . . ويبقى السؤال : ترى من هو الذي

(*) اعتاد الأكراد أن يخسروا على طاولة المفاوضات ، كل ما يحققوه من انتصارات في ميدان القتال .
«دايفيد فرومكيث» في تقادمه لكتاب راندال

ضعف قدراته أخيراً؟ وهل هو العراق مرتفع الهمة قوياً وصاحب تحديات ، بينما انحدل أكراد الانتفاضة وتحاذلوا وتذابحوا ولم يعد من هم للشعب الكردي إلا الخلاص منهم والعودة إلى حضن الوطن العراقي الدافئ .

• • • • •

يعقب جوناثان بعد ذلك قائلاً : «الاليوم ، يمكن القول بأن البرزاني كان ضحية نقاط ضعفه على المستوى الشخصي ، فهو لم يتلق تعليماً عالياً ولم تتجاوز مداركه حدود قناعاته البسيطة ومعرفته بطبيعة شعبه ، الامر الذي دفعه إلى ربط مصير شعبه بسياسة دولة عظمى لا تبالي به ، وقررت بعد طول تفكير ، تقديم خدمة لأحد حلفائها الاساسين على حساب الأكراد» (*).

ويعقب المؤلف جوناثان أيضاً بقوله : أما الجنرال البارزاني فقد امضى اعوامه الأخيرة في الخزي والعار ، في البلدين اللذين خاناه ايران والولايات المتحدة الاميركية ، وفي اعتماده على الأجانب ، فالاتكال على القوى الاجنبية يشكل نتيجة مباشرة للمسار الطويل الذي سلكه البرزاني في البداية بحذر في مطلع الستينات ، ثم بخفة شديدة لاحقاً دفعت منتقديه إلى التساؤل عن مدى سلامته تفكيره ، ومدى وطنيته أيضاً .

نرجو أن يتمتعن كل كردي عاقل بهذه الاقوال التي يقدمها لهم صديقهم جوناثان على شكل نصيحة مجانية .

• • • • •

الحقيقة المرة! حكاية تستوجب النشر

حدثني ذات ليلة وعلى سهرة ثنائية الصديق العزيز «غازي الزبياري» وهو كردي عريق وكان عائداً من السويد في طريقه إلى كورستان وحط في دمشق المضيافة كالعادة .. حدثني عن تلك الانتفاضات التي أعلنوا عنها في شمال العراق وجنوبه بعد العدوان الأميركي على العراق عام ١٩٩١ وهو محدث لبق وصريح ، ويعتبر من النشطين المؤوثين في الحزب الديمقراطي الكوردستاني ومن المقربين من قريبه الاستاذ مسعود البارزاني .

غازي الزيباري يمثل الكردي التزيف العفيف ، والمثقف المؤمن بالأخوة العربية - الكردية ومثله كثرة بين أخواننا الأكراد البارزانيين ، لي بينهم أصدقاء اعزاء تميزوا دائمًا بالصراحة ومن المعترفين المشهودين بدور العرب في عملية النهوض الكردي في العراق وما وصل إليه أكراد العراق من تميز وتميز عن أخوانهم في تركيا وإيران من النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية ، والحصول على حقوقهم القومية والسياسية على نحو ما أوضحه هذا الكتاب .

اذكر منهم : عز الدين برواري وأزاد برواري وفلك الدين كاكائي .

حتى أولئك الأكراد من يتولون مراكز قيادية تفرض عليهم أحياناً أن يلقوها ويدوروا ويناوروا ، تجدهم عندما تختلي بهم كأصدقاء في صورة مختلفة تماماً ، فهم أشد محبة للعرب من جميع الشعوب القرية من العرب أو إلى جانبهم ، ويعرفون بما حصلوا عليه مع العرب من مكاسب ، كما يعترفون بأنه ما من صديق للأكراد كالعرب على وجه الأرض ... يعترف بذلك خاصة جلال الطالباني ومسعود البارزاني ، والمطلوب أن تكون مواقفهم معلنة وخلفهم مع العرب نهائياً لا عودة عنه تحت أي ضغط أو أغراء خارجي أو للتسويق السياسي .

حدثني غازي الزيباري تلك الليلة وكنا على عشاء وسهرة طويلة في شرفة داري بدمشق ، عن أشياء عديدة كثيرة ، وكشف عن خلفيات الأحداث في كوردستان وكان حديثه صريحاً مخلصاً وبعضه يعتبر سراً بيننا لا أبيح لنفسي إعادة روايته . وقد صار حتى آنذاك عن طبيعة العلاقات بين الأطراف الكردية وتآزرها والمع بأن احداثاً مفجعة لابد ستقع إذا بقيت الأمور على ماهي عليه «وكان ذلك أواخر عام ١٩٩٣» ثم حدثت فيما بعد أشياء كثيرة مما توقعناه من مذابح وصادمات كردية - كردية .

على أن أهم وأطرف وأصدق مارواه لي الزيباري في تلك الأمسية هو ما استعيده الأن بسبب أهميته ، ومدى تطابقه مع الأحداث . فقد حدثني عن ذلك «الجنرال الأميركي» المسؤول عن أوضاع كوردستان «نسبيت اسمه» وكانت مهمته إدارية وأمنية أكثر مما هي

(*) رحل ملا مصطفى ولم يستطع الاستفادة مما اكتشفه من أخطاء وقع فيها ، وما أوقع فيه شعبه من مطبات وخيبات أمل وخسارة . لكنه كان شجاعاً عندما أعلن عن أخطائه وتورطه مع الأميركي وغيره ، وأوصى أبناءه وشعبه العمل على تجنب التحالف مع أميركا وخلفائها تحديداً . . . لقد نفذ نفسه بشجاعة الرجال . . . يبقى أن يستفيد كل كردي من تجربة الملا المؤلمة .

عسكرية عملياتية ، وكيف توثقت الصلة بينهم وبينه على شكل صداقة ولقاءات دورية ، وأنه شخص أمريكي محبب واجتماعي .

قال غازي : كنا ذات ليلة نسهر مع هذا الجنرال فبادره أحد رفاقنا بالقول : أريد أن أسألك سؤالاً ياحضرة الجنرال راجياً أن تجيئنا عنه بصراحة ، والسؤال هو : كيف أن أميركا الدولة العظمى لم تدعم الانتفاضة في الجنوب ضد الحكم في بغداد ، بل وقفت موقف اللا مبالاة أو موقف المتفرج ؟

أجاب الجنرال : إن السؤال في محله تماماً ، ويحتاج إلى جواب صادق مني ، واجيب بأنه من الطبيعي أن أميركا وقفت ذلك الموقف لأنها «دولة عظمى» تتجنب مواضع النزل أو الفشل . فقد كنا نعرف مسبقاً كيف وأين تجمعت تلك الخشود المسلحة في بلد مجاور للعراق ، وقوامها اعداد من العراقيين الفارين إلى ذلك البلد وهو الذي سلحهم ودرّبهم وكانوا ينتمون إلى قيادة دينية عراقية لاجئة هناك تتلقى الدعم من ذلك البلد أو تلك الدولة . ولا تستند إلى أية قاعدة شعبية داخل العراق أى في الجنوب (**).

أضاف الجنرال : وكنا نعرف من هم أبرز القائمين عليها . واعتبرناها قوات خارجية دخيلة سيكون فشلها محتملاً ، لذلك فضلنا مراقبة الأمور من بعيد لبعيد . وعليكم أن تعرفوا بأن العادة جرت على أن تتجنب الدول الكبرى المشاركة في مشاريع فاشلة غير مضمونة النجاح تؤدي سمعتها وتسيء إلى دورها . . . وأقول بصراحة أنه لو كانت تلك الانتفاضة شعبية محلية حتى لو كانت مدعومة من الخارج لكان حظها من النجاح كبيراً وماكنا لنتردد عن دعمها أبداً . لكنها لم تكن كذلك وفضلنا أن لا نتورط في عملية خاسرة مطبوبة في الخارج .

ويسكت غازي الزيباري قليلاً ثم يتسم ويقول لي متابعاً : لقد كان ذلك الجنرال الأميركي صريحاً وخيشاً ، وعلى شيء من خفة الظل والدعاية . . . فقد التفت إلينا بعد إقام جوابه على سؤال رفيقنا ومخاطبنا بلغة عربية يتقنها جيداً وبلهجة عراقية تعلمها مع الوقت قائلاً : يا أخوان وأرجو أن تعرفوا شيئاً آخر : «خوش» الانتفاضة «مالتهم» في الجنوب كانت مثل الانتفاضة «مالتكم» في الشمال . . .

(*) طبعاً كان الجنرال صريحاً ودل على اسم الدولة كما نقله إلى الزيباري ، وأنا اغفل الأسماء والتسميات هنا تفادياً للدخول في أية مهارات .

قال غازي : وانفجرنا كلنا ضاحكين ، وكان الجنرال الخبيث أشدنا ضحكاً للنكتة التي أتت في محلها وعبر فيها عن حقيقة الانتفاضتين أصدق تعبير .

هذا ما حدثني عنه بصراحته المعهودة الصديق الكريم غازي الزبياري وأنا انقل عنه بأمانة معتذراً . ويسريني جداً الإشارة إلى أن ملا مصطفى انتهى نادماً أشد الندم على ما استجره إليه الأميركي من اغراءات كاذبة ، وأبدى شجاعة كبيرة عندما أعلن عن خداع الأميركي له وترك وصية لأبنائه بأن يتجنبو المطبات التي وقع فيها ، والأمل كبير جداً في أن يتعظوا ويعملوا بنصيحة الوالد الراحل الذي عاش شجاعاً محباً لوطنه وشعبه لكنه أخطأ في حساباته ، وهي أخطاء يقع فيها أو وقع فيها كثيرون من الزعماء العرب أيضاً في مهادفهم للأميركي والبريطاني والتحالف معه ثم مضوا إلى أسوأ نهاية . ونحن هنا لا نهدف للتليل من الملا الراحل أبداً بل لأخذ الموعظة الحسنة ، وعسى يتعظ الأبناء والأنصار ، ليتجنبوا الوقوع بهذه الأخطاء المميتة لهم ولشعبهم ، والاساءة لسمعة الشعب الكردي الشقيق العظيم .

الدكتور منذر الموصلي

دمشق - 2000

